قراءة فى التنصير

١٤١

د. عثمان علي حسن ( )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مدخل:

التنصير خارج حدود بنى إسرائيل الجغرافية والبشرية مخالف لتعاليم الإنجيل، بدليل ما جاء من نصوص فى الإنجيل، أن المسيح رأى امرأة كنعانية شكت له جنون ابنتها، وأنها تسأله أن يشفيها من مرضها، فقال لها: "لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[1]. وفيها وصية المسيح عليه السلام للحواريين: "إلى طريق أقم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بِالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[2].

ويتفق هذا مع مضمون القرآن الكريم: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ}[3]، وقال تعالى:

(1) إنجيل متى: إصحاح 15، الفقرات 22-24.
(2) إنجيل متى: إصحاح 10 فقرات 5،6.
(3) سورة الصف الآية: 6.

{كمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ}(1).

كما يتفق مضمونه مع بعض الدراسات الموضوعية التى قام بها بعض دارسي المسيحية من المسيحيين أنفسهم(2).

وهكذا كانت الديانات السماوية القديمة تعمل فى مناطق محدودة لا تتجاوزها، حيث جاء كل رسول بلسان قومه، ومؤيد بمعجزة يفهمها قومه ويدركونها، فهى ديانات إقليمية محدودة، لمعالجة قضايا محدودة لم تكتسب صفة العالمية، وذلك لحكمة بالغة يمكن إدراكها بأن الأمم القديمة لم تكن مؤهلة لاستيعاب نظام عام يشمل البشرية كلها، فكانت الرسالات السابقة على الإسلام بمثابة التمهيد لهذا النظام العالمي.

لكن دعاة التنصير قد يعللون أعمالهم ببعض النصوص المنسوبة إلى المسيح مثل: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم.."(3). لكن هناك تشكيكا فى هذه النصوص، وفى نسبتها لأناجيلها(4). أو أن تحريفا أصاب هذه الأناجيل، هو الذى يفسر هذا التناقض، حيث

(1) سورة الصف الآية: 14.
(2) انظر: المسيحية: نشأتها وتطورها، شارل جنييز، ترجمة د. عبد الحليم محمود، ص: 48، 55، 130 ، المكتبة العصرية، بيروت.
(3) إنجيل متى: إصحاح 28، فقرة 19، 20 . وانظر إنجيل مرقس: فقرة 15.
(4) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، اللواء أحمد عبد الوهاب، ص17 ،113، مكتبة وهبة الطبعة الأولى 1981 مصر.

نجد نصوصا تدعو إلى الإقليمية، وأخرى تدعو إلى العالمية، وهذا ليس بمستغرب على هذه الكتب القديمة، والتى يؤكد أهلها من الباحثين وجود مثل هذه التناقضات والتحريفات، فضلا عما يؤكده القرآن الكريم في أكثر من موضع.

وهناك من ينسب فكرة التبشير ـ خارج الحدود ـ إلى بولس اليهودي المتنصر، فهو الذي أخرج المسيحية من نطاقها الإقليمي إلى رحابة العالم، مع الاختلاف في تحديد دوافع هذا العمل[1].وبولس هذا تنسب إليه تحريفات كثيرة أصابت المسيحية؛ منها: عقائد التثليث، والصلب والفداء، وتقديس رجال الدين، وإخراج المسيحية إلى البعد العالمي؛ حيث كانت أول رسالة لبولس ـ مضمنة في الأناجيل ـ تحمل عنوان: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية وجاء فيها قوله: أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم، أن إيمانكم يُنادى به في كل العالم[2].

التنصير والاستشراق في خدمة الاستعمار:

التنصير باعتباره جهوداً لمقاومة الإسلام بدأ مبكراً، أى منذ البدايات الأولى لعهود الرسالة والخلافة الراشدة، بإثارة الشبهات حول القضايا الإسلامية، لما رأوا تدفق المجموعات النصرانية نحو الإسلام، لكنه أخذ شكلا أكثر تنظيما وتحديدا بعد فشل الحروب الصليبية فى القرن الثالث عشر الميلادى ورافقه فى ذلك الا

(1) انظر: المرجع السابق ص52 ، 65 ، 70، 84 وغيرها من المواضع.
(2) الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص: 202.

استشراق، لتأخذ الحرب أسلوباً جديدا يعتمد مخاطبة الفكر بـ التشكيك فى الثوابت، وهذه وظيفة الاستشراق الأولى، واستغلال الحاجة والفاقة لتغيير القناعات وهذه وظيفة التنصير المحورية.

وهذا يفسر العلاقة بين الاستشراق والتنصير والاستعمار أجنحة المكر الثلاثة، فالاستشراق والتنصير كلاهما خدما الاستعمار، أي أن الاستعمار هدف والاستشراق والتنصير من وسائله، ويجمل بنا أن نذكر هنا ما قاله زويمر رئيس جمعيات التنصير البريطاني في مؤتمر القدس للتنصير عام 1935م وهو يخاطب جمعا من المنصرين في العالم الإسلامي "أيها الإخوان الأبطال، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد، في سبيل النصرانية واستعمارها لبلاد ا لإسلام، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل، ولقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء، إنني أُقِرُكم أن الذين دخلوا حظيرة النصرانية من المسلمين ليسوا بمسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم ثلاثة: إما صغير، لم يكن له من أهله من يعرّفه: ما هو الإسلام؟ أو رجل مستخفٌ بالأديان، لا يهتم بغير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر، وعزّت عليه لقمة العيش، وثالث يبغي الوصول إلى غاية شخصية.

إن المهمة التى نَدَبَتْكم إليها دول النصرانية فى البلاد المحمدية - ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تُخْرجوا المسلم من الإسـ لام؛ ليصبح مخلوقًا لا صلة له بـالله، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخـ لاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها؛ وبذلك تكونون بعملكم هذا

طليعةَ الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية، وهذا ما قُمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم عليه دول النصرانية، لقد قبضنا - أيها الإخوان - فى هذه الحقبة من الدهر، على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير، والكنائس، والجمعيات، و المدارس النصرانية الكثيرة، التي تهيمن عليها دول أوروبا وأمريكا.

أيها الزملاء:

إنكم أعددتم فى ديار الإسلام شبابًا لا يعرفون الصلة بالله، ولا يريدون أن يعرفوها، وأخرجتم بعضهم من الإسلام، ولم تدخلوه النصرانية، وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقًا لما أراده الا ستعمار: لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا هم له فى دنياه إلا الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوّأ أسمى المراكز فللشهوات، وفي الشهوات يجود بكل شيء.

باركتكم النصرانية، ورضى عنكم الاستعمار، فاستمروا فى أداء رسالتكم، لقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب"[(1)].

إن العائق الكبير أمام الاستعمار القديم والحديث فى العالم ا لإسلامى هو الإسلام الدين الحق، أو كما يسمونه: الخطر الأخضر،

(1) انظر: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام لمحمد محمود الصواف، ص -59-58 مكتبة الجيل ـ بيروت.

لا سيما بعد انزواء العدو الأحمر (الشيوعية)، وقدرة الإسلام على الحركة، حتى فى أصعب الظروف، وقدرته على مخاطبة الفطرة و العقل والفكر والوجدان، كل ذلك يخيف الاستعمار، فكان لا بد من ا لاستعانة بغيره لأداء أو لتسهيل مهمته، فكان أن لجأ إلى رجال الا ستشراق ورجال التنصير، اعتقادا منهم أن العقيدة لا تواجه إلا بعقيدة، والفكر لا يواجه إلا بفكر.. والتنصير ينفذ ـ إلى حد كبير ـ توصيات المستشرقين، ويضيف إليها باستغلال الحاجة والفاقة فى المجتمعات المسلمة.

يقول لويس توماس: إن المستكشف كان يرتاد الطريق أولا، و المبشر يرى نفسه مقتفيا أثر المكتشف، ثم يأتى الجندى متبعا أثر المبشر، وبعد ذلك يقفو التاجر أثر الجندي[1].

ومما يدل على أن التنصير وسيلة خبيثة لخدمة الاستعمار أن هؤلاء المبشرين أو المنصرين لو كانوا يريدون خيرا للبشرية ـ كما يزعمون ـ لكانت شعوبهم، شعوب أوربا والغرب التى أتوا منها، أولى بدعوتهم إلى الإصلاح، وبوصايا المسيح الأخلاقية، لكن الواقع خلاف ذلك تماما، فنجد الانحراف الشديد فى تلك البلاد مع السكوت المخزى لكثير من الكنائس ورجال الدين، بل صارت بعض ـ أو كثير ـ من الكنائس الغربية تلهث وراء نزوات وأهواء تلك الشعوب، فتبيح الزواج المثلى والشذوذ والإجهاض ونحو ذلك مما

(1) انظر: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي، ص 54 دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى 1983م.

يخالف قيم الأديان وتعاليمها.

ثم أين موقف هؤلاء المنصرين وهذه المنظمات التنصيرية من الجرائم التى تمارسها حكوماتهم فى بلاد المسلمين؟! أين موقفهم من دعم تلك الحكومات للكيان الصهيونى العنصرى فى فلسطين والإبادة الجماعية التى يقوم بها هذا الكيان، بل قبل ذلك إقرارهم بالاحتلال، وتحويل أهل الحق والأرض إلى مشردين، وأين موقفهم مما يمارس فى العراق وقبله فى جنوب إفريقيا حيث نظام الفصل العنصرى الجائر، بل الواقع يؤكد أن نتائج هذه الجرائم هو المرتع الخصب لأعمال التنصير.

وأيضا نرى الكنائس فى تلك البلاد ـ بلاد أوربا والغرب ـ مهجورة أو شبه مهجورة من قبل المسيحيين، وقد بيع بعضها ليتحول إلى نوادٍ ومراقص أو مساجد، وهم هناك أغلبية، وفى المقابل: لم نجد مسجدا فى العالم كله أغلق أو ضيقت مساحته أو تحول إلى مؤسسة أخرى بدعوى عدم وجود مصلين، بل المساجد في ازدياد واتساع.

بينما يثيرون ضجة كبرى حول كنائسهم المهجورة فى البلاد الإسلامية، مطالبين بزيادتها وعمارتها، بدعوى إحياء المسيحية، فـ الهدف إذن استفزاز الإسلام والمسلمين ومضايقتهم، وسلب حقوق الأغلبية الكاسحة، بدعوى رعاية حقوق الأقلية.

إنها مغالطة عجيبة. لقد رضى النصارى وهم الأغلبية فى أوربا والغرب أن يتنازلوا عن حقوقهم لصالح المادية والعلمانية والإ باحية، وفى بلاد المسلمين وهم أقلية يرفضون أن يتنازلوا عن حقوقهم ـ مع أنها مضمونة لهم ـ لصالح الأغلبية، بل على العكس تماما يطالبون الأغلبية أن تتخلى عن دينها، وعن شريعتها مراعاة لهم، معادلة غير منطقية وغير عادلة، تنبئ عن العدواة والحقد، وتتجلى فيها المقاصد الاستعمارية!!

ومن هنا ينبغى أن نعلم أن التنصير لا يرمى إلى نشر تعاليم المسيح بالدرجة الأولى وإنما يسعى إلى سلخ المسلم عن دينه، حتى يتجرد عن السلاح الذى يقف به فى وجه الاستعمار والابتزاز، فإذا تم هذا التجريد بإخراج المسلم عن دينه، فقد تحققت الغاية عندما يصبح المسلم بلا شخصية، ولا رسالة، ولا شىء يحرص عليه سوى النزعة البهيمية؛ التى يسعى لإشباعها ولو فى حقول المحتل، أما الخيار الآخر ـ مع عدم حرصهم عليه ـ فهو الدخول فى النصرانية، وليكون تحت وصاية رجال الدين النصرانين، حتى يعطل عن العمل لدينه، ولا يفكر فى الرجوع إليه، وليكون طُعما يُجر عن طريقه غيره من المسلمين، أو يكون فتنة لهم، وسيلة للتشكيك ونزع الثقة فى الإسلام، وهو أحد الأهداف الاستشراقية التنصيرية الاستعمارية.

وسائل العمل التنصيري:

الملاحظ على هذه الوسائل أنها تستخدم الخداع والتغرير والاستغ لال، وأحيانا الضغط، والاستفادة من الأزمات، بل أحيانا يعمدون إلى صناعتها وافتعالها، وسبب ذلك أن التنصير لا يملك الرصيد الفطري والعقلي، والحجة والبرهان لنشر مذاهبه، لا سيما في الأ وساط الإسلامية، حيث تتسم عقيدة المسلمين بالوضوح والعقلا نية، بينما تتميز العقيدة النصرانية بكثير من الغموض والألغاز والط لاسم، الأمر الذي يجد معه المنصرون صعوبة شديدة في إقناع المسلمين بها، ولهذا قد يمكثون السنوات الطوال دون أن تفلح جهودهم في تحقيق أهدافها. مما يضطرهم إلى اللجوء إلى المكر والخداع والذي يتمثل في الأمور التالية:

[1] التركيز على المناطق النائية التى تكون بعيدة عن نفوذ الحكومة المسلمة ومراقبتها، أو ضعيفة الخدمات، فينفردون بتلك الشرائح الاجتماعية، يقدمون لهم الديانة الجديدة مغلفة بالخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية ونحوها، والإنسان عبد الإحسان، وكثير من تلك الأوساط ضعيف الثقافة الدينية؛ فيقع فريسة فى هذه المصيدة.

[2] التركيز على الشرائح الضعيفة فى المجتمع: من نساء وأطفال وأيتام ومشردين ومرضى وفقراء ونحوهم، يستغلون أوضاعهم غير المتزنة، وحاجة هؤلاء إلى الاستقرار والعلاج وإصلا ح أوضاعهم؛ وكثير من هؤلاء لا يلتفتون إلى من يقدم لهم الخدمة بقدر ما يلتفتون إلى الخدمة نفسها، فالحاجة تذل أصحابها وتضعفهم.

[3] التركيز على المناطق المنكوبة والظروف غير الطبيعية؛ ظروف الكوارث من زلازل وفيضانات وحروب ونحوها.. وهذه مرتع التنصير الخصب؛ حيث حالة الفوضى وفقدان التوازن الأمنى والاجتماعى والنفسى لدى أصحاب هذه الشريحة، مما يجعلهم نهبا لمنظمات التنصير بلا منافس يُذكر، بل أحيانا تحت رعاية دولية وقانونية، فتقام معسكرات الإيواء لتنفذ فيها برامج متكاملة؛ ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والسلخ من الدين والهوية.

[4] التركيز على الأقليات المسلمة فى البلاد التى لا تدين حكوماتها بالإسلام. فهى غربة مستحكمة، غربة وطن ودين وقوانين. وغالب أوضاعهم ضعيفة ومستضعفة، تغرى المنظمات التنصيرية بمحاصرتهم تحت غطاء حكومى مريح، دون انزعاج من أحد، بل ربما نظروا إليهم باعتبارهم هدفا مضمونا.

[5] نشر الإحصاءات الكاذبة المضللة عن أعمال التنصير من نجاحات أو إخفاقات.. النجاحات: لتغرى الممولين بمواصلة البذل والعطاء؛ فإن أموالهم لم تذهب سدى، والإخافاقات: لتخدير المسلمين، فلا يتحركون لمواجهة التنصير.

[6] إثارة الشبهات حول ثوابت الإسلام بقصد التشكيك، والا ستفادة هنا من كتابات المستشرقين عن ثوابت الإسلام... وثوابت الإسلام: مصادره من الكتاب والسنة، ورموزه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وأحكامه القطعية فيما يتعلق بالعقائد

والعبادات والأحكام والأخلاق، ليكون الجميع محل نظر ومراجعة، فتهتز الثقة بها.

[7] العمل على مخاطبة الغرائز لدى الطبقات الميسورة، إذ حاجتهم من نوع آخر وذلك عن طريق الفن، والأندية الخاصة، وصناعة النجوم لتكون بدائل تبعد المسلم عن مبادئه وقيمه، بتغيير اهتماماته، وأولوياته.

[8] الربط بين الإسلام والجنس العربى، والزعم بأنه دين العرب لا غير، لضرب عالمية الإسلام، ولإثارة النفرة منه باعتباره دينا عنصريا، وهو الأمر الذى تعانى منه الكنيسة الغربية، ويعانى منه الاستعمار الأوربى، وعلى هذا تفسر أخطاء العرب بأنها مبادئ إسلامية، كما تفسر أخطاء المسلمين بأنها مبادئ عربية.

وفى ضوء الأمور المتقدمة تُصمم وسائل التنصير المعاصرة، وإليك جملة منها، مع ملاحظة أنها وسائل مشتركة للتنصير فى العالم كله، مع مراعاة الخصوصيات الإقليمية والمحلية:

[1] توفير المعلومات عن المسيحية ونشرها بمختلف صور النشر والتوزيع، وذلك عن طريق ترجمة الأناجيل، والكتب الدينية إلى لغات البلاد المستهدفة بالتنصير، بل إلى اللغات المحلية، حتى لا تكون اللغة حاجزا يحول بينهم وبين الاطلاع على تلك الكتب و النشرات. وتشير المعلومات إلى أن الإنجيل تمت ترجمته إلى

(400) لغة إفريقية، وأن العمل جار لترجمته إلى (200) لغة أخرى. وفى المناطق التى تعمها الأمية أعدت ترجمات على أشرطة كاسيت مصحوبة في بعض الأحيان بموسيقى محلية[1].

إضافة إلى استخدام المحطات الإذاعية ـ خاصة على FM ـ و التلفازية وباللهجات المحلية لتحقيق الغرض السابق، وما يملكه التنصير عبر العالم من هذه المحطات يفوق التصور، فضلا عن الا ستفادة من المحطات الرسمية والمحلية..

وكذلك يهتمون بإصدار مجلات وصحف وكتيبات صغيرة ومطويات بغرض التنصير، وأخيرا استخدام الانترنت بإقامة مواقع خاصة بهم، ومن أخطرها موقع: المتنصرين، وموقع أبناء إسماعيل، حيث يزعم القائمون عليها أنهم كانوا من أبناء المسلمين ثم تنصروا بعد اكتشافهم للحقيقة، ويحرصون على المحافظة على أسمائهم العربية والإسلامية، وهاهم يدعون الناس وخاصة المسلمين للدخول فى النصرانية، وفى هذه المواقع يطعنون فى الإ سلام صراحة ودون مواربة، ويركزون فى طعنهم على القرآن الكريم الذى استعصى على التحريف. مع ملاحظة أن ما ينشر على الانترنت قد يفتقد إلى المصداقية أحيانا.

مع ملاحظة أن هذه المواد التعريفية والتعليمية إما أن تقدم مجانا، أو بأسعار رمزية، وفي حُلة زاهية جذابة.

(1) انظر: خطة لغزو العالم الإسلامي ص: 510-530.

[2] الحرص على أن يتولى عملية التنصير أناس من أهل البلا د المستهدفة لأن المنصرين المحليين أعلم بطبيعة بلدهم، وأكثر تأثيرا فى مواطنيهم، خاصة إذا كان هؤلاء المنصرون قد ارتدوا عن الإسلام، فهم يقدمون بذلك نموذجا عمليا لنجاح عملية التنصير، وهذه هى الفتنة عينها[1]. ومع ذلك يجد هؤلاء المنصرون المحليون السند والتوجيه والتدريب من المنصرين الأجانب.

[3] الاستفادة من كل الوسائل التى تساعد فى إحداث التأثير المطلوب، من الموسيقى، والألعاب الرياضية والرحلات الترفيهية و الكشفية، والمناسبات الاجتماعية، والزيارات والمجاملات العائلية، وبعض الأحداث العالمية أو المحلية لتوظيفها في خدمة أهدافهم.

[4] التعليم الإرسالى: من رياض أطفال ومدارس وكليات وجامعات، وهذه الوسيلة من أخطر ما يعول عليه المنصرون فى ا لاتصال بأبناء المسلمين، حيث يكون المدرسون مسيحيين، والجوّ الذى يعيشه الطلاب جوّاً مسيحيا، حيث الرموز والملابس والاحتفا لات والأعياد والهدايا والزيارات المنزلية، والرحلات الترفيهية أو التعليمية، أضف إلى ذلك ما تتمتع به هذه المدارس من إعداد جيد ومتميز من حيث البنية التحتية من مبانٍ ومرافق وترحيل ونحوه، ومن حيث الرعاية الأكاديمية والصحية والاجتماعية التى يجدها التلميذ فى مثل هذه المؤسسات، فى مقابل الوضع السىء

(1) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، د. خالد محمد نعيم، ص: 15 كتاب المختار، الطبعة الأولى 1988م.

للمؤسسات التعليمية الحكومية، الأمر الذى يجعل أولياء الأمور يدفعون بأبنائهم إليها، مع ما يُعرف ما للمعلم من تأثير قوى على شخصية التلميذ، تلك الشخصية المتلقية والمقلدة، والتى تنظر إلى المعلم على أنه مصدر معرفتها وثقافتها، وهو القدوة الثانية بـ النسبة له بعد البيت، وربما تكون أقوى لعدد الساعات التى يقضيها التلميذ في المدرسة، وفي هذا الجو النصراني المؤثر.

ففى المؤسسة التعليمية يتم ـ وبهدوء وتركيز شديدين ـ تغيير الرموز الدينية لدى الطفل المسلم برموز أخرى، وثقافته الدينية بثقافة أخرى، وأمنياته وتطلعاته ومعاييره بأخرى مغايرة، وهكذا ينسلخ عن دينه وثقافته وأمته شيئا فشيئا، ليُشَكل تشكيلا جديدا، فهو إن لم يترك دينه ويتحول إلى المسيحية فعلى أقل تقدير ـ وهو هدف لا بأس به عند المنصرين ـ تضعف معرفته بالإسـ لام، وينهار تمسكه به، ويبرد حماسه له، ويكون مستعدا للتخلى عنه متى ما كان الوقت ملائما.

[5] العلاج الإرسالى سواء كان فى شكل مستشفيات أو مستوصفات أو برامج صحية فى مجالات متخصصة، أو الاستفادة من المؤسسات الطبية الحكومية فى تحقيق أهداف المنصرين، مع ما يُعرف من الإمكانات الهائلة التى تتمتع بها المؤسسات الطبية الإ رسالية، فى مقابل ضعف أو غياب الرعاية الصحية الحكومية، أضف إلى ذلك ما يتمتع به الطبيب أو مقدم الخدمة الصحية من

نظرة خاصة من قِبَل المجتمع، باعتباره شخصا يسعى فى إسعاد مرضاه، ورسم البسمة على شفاههم، فتوظف هذه النظرة الإجلالية لتحقيق أهداف التنصير، ولهذا نجد الطبيب يمارس هذه المهنة بأخلاقية عالية؛ من حيث حُسن المعاملة لمراجعيه، وإظهار الا هتمام البالغ بهم، بل وبمرافقيهم أيضا، وإدخال السرور والطمأنينة على نفوسهم، الأمر الذى ربما لا يجدونه مع الأطباء الآخرين الذين لا يستحضرون نية ولا رسالة ولا هدفا، بل مجرد وظيفة يستأكلون من ورائها.

وربما يُصور للمريض أن الطبيب المسيحى يمارس مهنة المسيح الذى كان يقدم خدماته الصحية للناس وللفقراء منهم ـ وهنا ربما يتذكر المريض المسلم، أو يُذكر بما ورد فى القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام من أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ـ ويُصور له أيضا التضحية التى قدمها المسيح من أجل الناس، حيث فدى البشرية بدمه الطاهر، فكذلك هذا الطبيب الذى جاء من بلده الأوربى تاركا بلده وأهله ووظيفته وراحته هناك، ليعيش بين مرضاه الجدد فى وسط الأدغال والغابات والأحراش، إنه يمارس مهنة المسيح.

مع هذا الجوّ الرومانسى الذى يُراد للمريض أن يعيشه، إضافة إلى المجلات وأجهزة العرض والصور والملصقات الجدرانية، يتهيأ لعملية علاج روحانية على حد زعمهم، وهذه أنفع له من علاج

جسده المادي، هكذا يُصور له.

[6] إثارة الشبهات بقصد تشكيك المسلم فى دينه، وتحويل الثوابت إلى متغيرات، وموضع للنظر والاحتمالات، والأصول إلى فروع وأمور هامشية، والمحاسن إلى مساوئ، والمفاخر والأمجاد في تاريخنا إلى مخاز ينبغي التبرؤ منها أو الخجل عند ذكرها.

ومن افتراءاتهم[1]:

{أ} القرآن هو الآخر تعرض للتحريف، لا سيما أثناء الجمع، سواء الأول أو الثاني.

{ب} القرآن مستفاد من الكتب القديمة؛ العهدين القديم و الجديد.

{ج} الوحى ظاهرة مرضية كانت تعترى الرسول أشبه ما تكون بالصرع.

{د} القرآن يحتوي على أخطاء لغوية ونحوية.

{هـ} السنة كثير منها من أكاذيب الصحابة والفقهاء وغيرهم.

{و} تاريخ الصحابة والمسلمين حافل بالحروب والدمار.

---

(1) انظر: الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة أ.د. حسن محمد عيسى عبد الظاهر وآخرون ص: 436 وما بعدها، صدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة قطر 1421هـ / 2000م.

{ز} الحضارة الإسلامية ما هي إلا سرقة للحضارات القديمة.

{ح} أضف إلى ذلك الطعن فى بعض الأحكام الشرعية مثل: الجهاد والطلاق والتعدد والميراث والحجاب إلخ..

ويُضاف إلى ذلك محاولة نفى المخالفة بين الإسلام و المسيحية، أو محاولة إثبات أن العقيدة المسيحية مبررة إسلاميا، ويكون الأمر أسوأ بمحاولة تفضيل العقائد والأحكام المسيحية على ما جاء فى الإسلام من عقائد وأحكام. ويستخدمون فى ذلك نصوصا من القرآن والسنة وما جاء فى كتب التفسير من إسرائيليات لإثبات افتراءاتهم.

وهذه الشبهات قد تنطلى على من ضعفت صلته بالثقافة الإسلامية والعلم الشرعى. قال أحدهم:" يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن) وهو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه، لنقضى تماما عليه، يجب أن نُرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديدا، وأن الجديد ليس صحيحا"[1].

[7] وفى سبيل رعاية هذه الجهود ومتابعتها وتقويمها تعقد المؤتمرات العالمية، ومن أشهرها فى الوقت القريب مؤتمر أمريكا الشمالية الذى عقد عام 1978 وقد حضره مندوبون عن مختلف

(1) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، ود. عمر فروخ، ص40 منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، 1982م بيروت.

مؤسسات التنصير فى العالم، ومن بينهم خبراء متخصصون فى الدراسات الإسلامية والإعلام والعلوم الإنسانية وشؤون العالم الثالث، وقد أصدر المؤتمر كتابا ضخما تضمن البحوث والدراسات التى قدمت فى المؤتمر، وكان الكتاب تحت عنوان: الإنجيل والإسلام، وترجم بعنوان: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامى، وجاء فى مقدمته: أنه مساعدة لإنارة الدرب الصحيح فى عملية تنصير المسلمين.

[8] كانت الطريقة القديمة فى التنصير تعتمد الأسلوب الفردى، أى الاتصال بالفرد المراد تنصيره، ودراسة ظروفه الخاصة، ثم إغراءه بالدخول في النصرانية.

وقد لاحظ المنصرون أن هذه الطريقة شديدة البطء، قليلة الجدوى وأن من يتحولون إلى النصرانية عن طريقها يعانون من الحصار الاجتماعى من ذويهم لردهم إلى الإسلام، فلجأ المنصرون إلى ما يمكن أن يسمى بالتنصير الجماعى الذى يمكن أن يتم فيه تنصير قبيلة بأكملها، أو مدينة بكل ما فيها دفعة واحدة، وهكذا ينعدم الضغط الاجتماعي على الأفراد.

ولكى تكون هذه الوسيلة ناجحة فلا بد ـ كما يقول المنصرون ـ من وجود أزمات ومشكلات تدفع الناس إلى أن يكونوا خارج حالة التوازن التى اعتادوها، وقد تأتى هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية مثل الفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد ترجع إلى

عوامل معنوية كالتفرقة العنصرية، أو الأوضاع الاجتماعية المتدنية، فإذا لم توجد مثل هذه الظروف فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية[1]. ويمكن القول إن هذه الظروف إن لم تتم بصورة عفوية فمن الممكن العمل على إيجادها، كما هو كائن فى بعض الحروب التى تجرى إثارتها فى بعض المناطق بطريقة مفتعلة أحيانا، ولو تأملنا فى الشأن الصومالى البلد المسلم 100% والأكثر إقبالا على القرآن، لظهر لنا مصداق ما ادعيناه.

[9] اللجوء إلى الخداع فيما ينشر من إحصاءات عن نتائج التنصير، وهى تميل فى معظمها إلى حجب الحقائق والتقليل من أعداد من يستجيبون للتنصير، والحديث عن إخفاق مساعيهم فى تحقيق أهدافهم، وقد قيل لأحد كبار المشرفين على التنصير فى إفريقيا: إنا نسمع من آن لآخر أن التبشير فى أفريقيا قد أخفق، ألا تخرجون إلى أقاليم أخرى للتبشير، فضحك قائلا: إنا نحن الذين ننشر هذه الأخبار، وننشرها فى مقابل دفع أجرة لها، وذلك أن التبشير فى إفريقيا ناجح كل النجاح، وبلغ من نجاحه أن أصبح شوكة في ظهر السودان.

ثم ذكر أن هذا النشر يحقق فائدتين: إحداهما أن المسلمين حينما يقرأونها يستمرون فى نومهم، فلا ينالنا منهم معارضة أو أذى. أما الثانية أن تنهال علينا التبرعات من أغنياء المسيحيين، لأ

(1) التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، ص: 230.

أن المسيحيين أينما كانوا يسرهم أن ينجح التبشير[1].

[10] الاستفادة من أوضاع الاحتلال المعاصر الذى تمارسه أمريكا فى العراق وأفغانستان ليتحرك التنصير بكل حرية تحت رعاية الاحتلال وحمايته، وقديما قال كرومر أول معتمد بريطانى فى مصر: إن مهمة الرجل الأبيض، الذى وضعته العناية الإلهية على رأس هذه البلاد هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن، بحيث تصبح هى أساس العلاقات بين الناس، وإن كان من الواجب ـ منعا لإثارة الشكوك ـ ألا يعمل على تنصير المسلمين، وأن يرعى من منصبه الرسمى المظاهر الزائفة للدين الإسلامى!! كا لاحتفالات الدينية وما شابه ذلك[2]. هكذا يتم تقسيم العمل بينهم، فالمنظمات التنصيرية تقوم بمهمتها فى التنصير تحت تشجيع وحماية الاحتلال، بينما يقوم المحتل بمراعاة المظاهر الزائفة التى يمليها عليه منصبه الرسمي.

[11] الاستفادة من الاتفاقات والإعلانات الدولية فيما يتعلق بحقوق الإنسان للضغط على الحكومات الإسلامية لتمرير أعمال التنصير بدعوى رعاية حقوق الأقليات الدينية، ومنع اضطهادها، وتمكينها من إثبات وجودها، ومن ذلك بناء الكنائس والمدارس التنصيرية، وحرية الدعوة إلى النصرانية.

---

(1) انظر: أوربا والإسلام د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، ص: 199-200، مطابع الأهرام التجارية، 1973م مصر.
(2) انظر: واقعنا المعاصر، أ. محمد قطب، ص: 216 مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1986م جدة.

مقترحات في مواجهة التنصير:

[1] تحصين المسلمين بالعلم الشرعى، والثقافة الإسلامية، التى تجعلهم على معرفة تامة بثوابت دينهم، وخصائصه، وتفوقه على غيره من الأديان والمذاهب الأخرى، وأنه الدين الخاتم، والحق الموافق للفطرة والعقل ومصالح الناس، وتبصيرهم بخطط الأعداء ومكرهم.

وهذا الجهد التوعوى التثقيفى ينبغى أن تتضافر عليه الجهود الرسمية والشعبية، عبر مؤسسات التعليم، والإعلام، والمساجد، وغيرها من منابر التوجيه والإرشاد.

وينبغى أن نتذكر أن جهود الأعداء الآن تنصب على إبعاد المسلمين عن مصادر الإشعاع فى دينهم، حتى يكونوا لقمة سائغة لحملات التنصير والتغريب والاستحواذ، فبقدر اهتمامنا بهذا الجانب يمكن أن نفوّت عليهم الفرص.

[2] تعزيز الانتماء إلى الإسلام والوطن الإسلامى، وأنّ أغلى ما يملكه المسلم هو دينه وعقيدته؛ فإنه يصبر على الجوع والمرض بل والقتل، ولكنه لا يصبر على الكفر، فالإسلام عقيدته وجنسيته وهويته ورأس ماله.

[3] السعى الجاد لتحقيق معانى الإخوة الإسلامية والتكافل ا

لاجتماعى بين المسلمين وعلاج مظاهر الفقر والعوز، حتى لا ينفذ المنصرون من هذه الثغرات، وهذا يقتضى تذكير الحكومات الإسلا مية لتقوم بدورها فى الاهتمام برعاياها وألا تتركهم نهبا للسباع الضارية من جيوش التنصير، وهنا يتأكد ويتعاظم دور الجمعيات الخيرية الإسلامية، ودور المحسنين من أهل الإسلام، لسد أو دعم ما تعجز عنه الأجهزة الرسمية، فالمسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وينبغى أن يكونوا كالجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وكالبينان المرصوص الذي يُشدّ بعضه بعضا.

[4] العمل على تنبيه الجماعات والمنظمات العاملة فى حقل الدعوة والإصلاح وأن تخصص جزءا من اهتمامها لمواجهة التنصير، ولتحصين المجتمع من أخطاره. وفى هذا ينبغى توجيه الجهود وتنسيقها لتؤتي أكلها.

[5] إقامة عمل متخصص لمواجهة التنصير، فى صورة معاهد ومراكز بحثية لإعداد الدعاة والعلماء المختصين فى مواجهة التنصير، والرصد الدقيق لجهوده العالمية والمحلية، وإعداد البيانات والمعلومات المتعلقة بذلك، مع العمل على فضح أساليبهم، وإصدار منشورات ودوريات ومجلات وكتب تعنى بهذه الجوانب.

[6] حث الحكومات على إصلاح التعليم والصحة والرعاية الا جتماعية لديها، لأنها من المنافذ التى يتسلل من خلالها التنصير،

وإعانة الحكومات على ذلك.

[7] العمل الجاد على توفير مؤسسات تعليمية وصحية على النفقة الخاصة للمقتدرين، وخيرية لغير المقتدرين، على أن تلتزم بمستوى عالٍ من التقنية والمهارة والانضباط؛ لتكون موازية وبديلة للمؤسسات الرسمية العاجزة عن تلبية حاجات المواطنين بهذا الصدد، وفى المقابل تكون سدا منيعا أمام مبررات التنصير التعليمية والعلاجية؛ على أن يفوز أبناء الفقراء برعاية خاصة من خلال هذه المؤسسات.

[8] حث المحسنين وتجار المسلمين على تخصيص جزء من أموالهم لمواجهة التنصير عبر إقامة مؤسسات لرعاية ضعاف المسملين. واعتبار ذلك من الجهاد بالمال.

نسأل الله للجميع التوفيق والتسديد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

[1] أوربا والإسلام د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، مطابع الأهرام التجارية، 1973م مصر.

[2] التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، د. مصطفى خالدى، ود. عمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، 1982م بيروت.

[3] التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى، م. مكيورى إديتور، 1978 م.

[4] الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، حسن محمد عيسى عبد الظاهر وآخرون، من إصدارات كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية ـ جامعة قطر، 1421هـ/2000م.

[5] حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر، اللواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة الطبعة الأولى 1981 مصر.

[6] الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر، د. خالد محمد نعيم، كتاب المختار، 1988م.

[7] الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، د. قاسم

السامرائي، دار الرفاعي، الطبعة الأولى 1983م الرياض.

[8] الكتاب المقدس: العهد الجديد الطبعة الأولى 1999 دار الكتاب المقدس بمصر ـ القاهرة.

[9] المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد بن محمود الصواف مكتبة الجيل ـ بيروت.

[10] المسيحية: نشأتها وتطورها، شارل جنيبز، ترجمة د. عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت.

[11] واقعنا المعاصر، أ. محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1986م جدة.